

## الوافي في الوفيات

قال : فلم يكن بعد ذلك إلاّ - أيام قلائل حدّثني توفي C تعالى وأكله الدود . وكتب على كتابي جنان الجناس لمّا وقف عليه :

لقد ضمّ - أجناس الجناس فأطربا ... وأعجز - من باراه فيها فأتعبا .  
صلاحُ لدينٍ أ - أبدى بدائعا ... تروق بألفاظٍ أرقّ - من الصّبا .  
يراه بليغ جاء بالمدح سائلا ... مجيزا مجيبا قولَه لا مخيِّبا .  
بإنشاده هذا وإنشائه لقد ... به فات من قد فاق فضلا ومنصبا .  
فَقُسُّ إِيادي عند ذا الفضل ناقلُ ... ولفظ امرئ القيس البديع هُنا هَبا .  
ومن شعره لمّا أُمسك الأمير سيف الدين كَرَاي المنصور نائب دمشق :  
أنا راضٍ بحالتي لا مزيدي ... وبأن أزال عبدَ الحميدِ .  
إنّ - في أمر كافل الملك بالشا ... م عطاتٍ للحازم المستفيدِ .  
جاءه بالتقليد أَرغُون بالأَم ... س وولّني وعاد بالتقييد .  
ومنه :

سَلابَ المهجّةَ منّي ... بالجفونِ الفاتراتِ .

لم يزور البيت لم يَرُ ... م الحشا بالجَمَراتِ .

ومنه :

وكم سرحةٍ لي في الرُّبى زمنَ الصبا ... أشاهدُ مرأى حسنها متملّبا .

ويُسكِرني عَرَفُ الشذا من نسيمها ... فأقضي هوّى من طيبه حتفَ أنفيا .

وأسأل فيها مَيسِمَ الروض قُبلةً ... فيُبِرز من أكامه لي أيديا .

فإن روضُ زرتّه متنزّها ... فأبدى لعيني حُسن مرأى بلا ربا .

غدا الغُصن فيه راقصا ونسيمُه ... يكرُّ على من زاره متعدّبا .

ترجّلتِ الأشجار والماء خَرّ - إذ ... نسيمُ الصّبا أضحى به متمشّبا .

تُغَنّي ليديه الوُرُق والغصنُ راقصُ ... فيعرقُ وجه الأَرْض من كَثرة الحيا .

ومنه :

فَعُدّ - نفسك من أهل القبور بها ... فعن قليل إليها سوف تنقلُ .

واذكر مصارع قومٍ قد قضوا ومضوا ... كأنّهم لم يكونوا بعدما رحلوا .

يا ليت شعري ما قالوا وقيل لهم ... وما الذي قد أجابوا عندما سُئلوا .

ومن نثره C تعالى يصف قلعة ذات أودية ومحاجر : لا تراها العيون لبعد مرماها إلاّ -

شَزْرًا ولا ينظر ساكنها العدد الكثير إلاَّ - نَزْرًا . ولا يظنُّ ناظرها إلاَّ - أنَّها طالعة  
بين النجوم بما لها من الأبراج ولها من الفرات خندق يحفُّها كالبحر إلاَّ - أن هذا عذبُ  
فراتٍ وهذا ملح أُجاج . ولها وادٍ لا يقي لفحة الرمضاء ولا حرَّ الهواجر وقد توءَّرت  
مسالكه فلا يُداس فيه إلاَّ - على المحاجر . وتفاوت ما بين مرآه العليِّ وقراره العميق  
ويقتحم راكبه الهول في هبوطه فكأَنَّ - ما خرَّ - من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح  
في مكان سحيق .

ومنه في صدر كتاب : وجعله لحقيقة العلياء نفساً وعيناً ولا أعدم الملك منه ناظراً ولا  
عينا . ولا زال على الأعداء يرسل من مهايته رقيبين أذناً وعينا . وأغنى بمكارمه من أن  
نشيم من السماء خالاً وعينا . أو نَرِدَ من الأرض منهلاً وعينا . وأطلع طلعة لوائه في  
الخافقيْن حتَّى تخال لشمس عينا . وسيَر ركائب ذكره في الآفاق لا تشتكي أَيْناً ولا  
عينا . وأقام ميزان القسط بين الرعايا لا يجد فيه عيناً ولا عينا . واستبعد لخدمته كلَّ -  
أصيدَ من الملوك لكل جفيل قلباً ولكن محفِل عينا . وأهلك كلَّ - عدوٍّ له وحاسد تارة  
فجأةً وتارة عينا . وأنطق لسانَ كرمه للأولياء بنون وعين وميم إذْ كتب سواه ميماً  
ونوناً وعينا . ومدَّ - عَهْهُ بما خصَّه من استجلاء عرائس الحور العيين بمجاهدته إذا شغل  
سواه عَيْناً من أسماء وعينا . وسطَّ - آثاره مآثره محكمةً على صفحات الأيام إذْ لم  
يُذِقَ لمن سلف من الملوك أثراً ولا عينا .

أبو حيدرات التوحيدي الشافعي